السلامة

السلامة حاجة مُلحَّة للبشر، بل حتى للحيوان، لا يقوم بدونها قرار، ولا يتم في غيابها استقرار، في عدمها يحل الفزع وأحداث تجلب معاناة وشقاء.

وإذا كان الإنسان مفطورًا على غرائز يحرص على إشباعها؛ لتقوم حياته عليها كالطعام والشراب، فإن ذلك لن يكون مأموناً مالم يندرج تحت رداء السلامة واتباع الطرق السليمة لإعداده للتناول الآمن وعلى مثل تنصرف السلامة في مناحي الحياة وشئون العيش والسكن والانتقال وأين ما وطئت رجلاه واستوطن بعيدًا عن خطر وشبح الحوادث ومُلمَّات الألم، لتطمئن نفسه، ويستقيم معاشه، ويستطعم ملذات الحياة، وينعم بنعم الله التي أسبغها لعباده ظاهرة وباطنة، في جو خالٍ من المنغِّصات وشبح الحوادث التي تهدده بخطر موجع أو حدث مهلك.

وعلى هذا جاءت السلامة في سلم أولويات متطلبات الإنسان، بل هي رافد من روافد الأمن الإنساني ومظلة من مظلات الأمان الروحي والاستقرار النفسي والشعور بطمأنينة من حوادث معطبة.

هي اسم جامع لمعانٍ عديدة، أولها الأمن المورث للاستقرار وآخرها المحافظة على النفس والمال والأمان من محدثات تمسّ المعايش بضرر أو مقر السكن بأذىً أو تعيق مزاولة الإنسان نشاطاته ومباحث مسترزقاته وضرورات احتياجاته، وتأمين هيكل حياته .

السلامة مشتقة من السلام الذي هو اسم من أسماء الله الحسنى تقدست أسماؤه، منْ لاذ به أمن من المفزعات واطمأنت نفسه وقرَّ قراره، وهي مفتاح تحفيز قوي؛ لتحقيق الغايات الحياتية وإشباع الغرائز الآدمية والانخراط إلى صروف الحياة بأمان، يتقلّب في مجرياتها باطمئنان.

في غيابها يحلّ شعور القلق والتوتر؛ خشية وقوع حوادث تعيق الحركة وتحدّ من النشاط، وقد تُودي إلى مهلكة للنفس وتلف الأموال والممتلكات ووسائل الرزق، وقد تقعد عن العمل وتكبح جماح الكد والكسب والحد من الطموح.

انظر الى المسلم وهو يردد في صلواته الدعوة لنفسه ولعباد الله بالسلام قائلاً : {السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين}، ذلك يعني أنه يدعو ربه أن يسلمه والمؤمنين من عاديات المضرات والنجاة من المهلكات.

وكثيرًا ما يرد لفظ السلامة مترادفًا مع لفظي الوقاية والحماية، يتداولها الناس بمعنى واحد. فيقال: سلامة من الخطر أو وقاية من خطر أو حماية من خطر؛ لتحمل أيّ منها نفس المدلول في المنظور العام، بينما لو دققنا النظر بتحليل كلّ لفظ على حدة سنجد كلاً منها يحمل دلالة جزئية في المعنى العام للسلامة ذات الأضلاع الثلاثة.

وهي: الوقاية – الحماية – التفعيل.

١- **الوقاية:** Prevention تعني الصد–الردع – المنع (وهو التحرز).

وإذا أجرينا هذا المعنى على الحوادث المهلكة للنفس والمال، فيعني نزع فتيل الخطر قبل أنْ تتكوَّن قاعدة احتضانه، وإبطاله في مهده، وهي عملية تحييد حالة الخطر وجعل الموضع المزمع وقايته خاليًا من شبح الحوادث بتعطيل منشأ الخلل بما يشكل غطاء مانعًا ، وهو ما يُعبَّر عنه بعملية تحريز وقائي يمنع احتمالية وقوع حدث مفاجيء ، وذلك في شقين:

- **شق معرفي:** أي دراية بطبيعة الأشياء التي نتعامل معها أو نستهلكها في حياتنا اليومية؛ لندرك طبيعة أخطارها فإذا عرفنا طبيعتها وقفنا على محاذيرها كالمواد الكيماوية والإشعاعية ووسائل الطاقة وما شابهها لنضع أسس الوقاية من محذورها .
- **شق توقعي:** أي ملاحظة مؤشرات تُنبيء بوجود خلل قد يقود إلى وقوع حدث كإشارات ضوئية أو أصوات غريبة أو حرارة عالية أو فقاعات وانبعاثات وأبخرة أو فوران وظهور فقاعات وغليان .. الخ.

إن تلك المؤشرات نذيرُ وقوع خطر قد يكون سببًا في وقوع حادث بعد أنْ تكتمل مكوناته مما يدفع لضرورة استباقه لمنعه من الوقوع وهو الوضع الغائب مع الأسف عند كثير من الناس.

٢- **الحماية:** Protection وتعني مدافعة الأذى ومقاومته. وهي الضلع الثاني في مثلث مفهوم السلامة، أي اتخاذ مبادرات بأدوات حماية بوحي من الإجراء الوقائي السابق، وهي ما نطلق عليها بتدابير الحماية كوضع أجهزة إنذار مبكر بوقوع حريق، وأجهزة

كشف الدخان، وأجهزة حساسات حرارية ... الخ توفير وسائل مقاومة. أي حالة استعداد لمعالجة الوضع إذا شاءتْ الأقدار أنْ يقع حادث.

٣- إلمام وأداء : (تفعيل)

تكتمل العملية بالضلع الثالث في مثلث غطاء السلامة، فإنْ أوجدنا أدوات الحماية يجب أنْ نتأكد من كفاءة أدائها، والإلمام بطرق استعمالها في الوقت المناسب، وإلا ما فائدة طفاية حريق مثلًا إذا أوجدناها ولا نعرف طريقة تشغيلها فكأنها لم تكن؟!

إذن: نخلص إلى ترتيب منطقي لاحتواء الحوداث من خلال غطاء السلامة .

- فالوقاية تعني منع وقع الحوادث بمعالجة الأسباب من خلال استشعار مؤشراتها كإجراء استباقي، وهو دائرة أولى لمنع تكوّن السبب المؤدي إلى حدث.
- ثم يتبعه مباشرة اتخاذ تدابير الحماية، وهي دائرة ثانية أي تجهيز وسائل من أدوات وأجهزة لمقاومته (أي آلية مكافحته).
- ثم إلمام وتفعيل وتشغيل، يدخل من ذلك صيانتها، وطريقة استعمالها، ووضعها في حالة الاستعداد الدائم عند وقوع أي طارىء؛ ليسهل تناولها.

تلك الأضلاع الثلاثة : صد يمكن اختزالها فيما يلي : منع تكوّن السبب، فمدافعة بأدوات،ثم تفعيل أداء المكافحة، فإن خط الدفاع الأول لمكافحة الحريق يبدأ من الوقاية -تردفها الحماية- ثم يفعلها

الأداء نتائجها النهائية = سلامة. أي التعامل مع الحوادث قبل وقوعها وبعد وقوعها .

هذا التفنيد يقودنا إلى خلاصة مفادها أن منْ ينشد السلامة عليه أنْ ينظر إليها من زاوية الخطر متوقعًا حدوثه؛ ليتأهب لجعل السلامة غاية بأطرها الثلاثة المتسلسلة المتمثلة في منع تكون السبب بالوقاية، ثم معالجة مقاومته في مهده بالحماية، ثم تفعيل الأداء. فالأول إجراء استباقي، والثاني إجراء احتياطي، والثالث إجراء تفعيلي.وباكتمال نصاب أضلاع المثلث ينتصب هرم السلامة لتحتوي المخاطر قبل أن تقع موقعًا مأساويًّا من عباد الله . ولا تقوم إلا بتضامنهم معًا ، فمنْ لم يتوفر فيه خشيةٌ من الخطر فهل تراه يوفر أدوات الحماية؟! وإنْ وفّرها دون تفعيل أداء هل تراه يستطيع مقاومة الحدث دون علم بطرق تشغيلها؟

وقديمًا قالوا: منْ خاف سلم. والخوف هنا عامل التوجس الذي يستشعر الخطر، يبدأ من الخط الوقائي الأول فيعمل على معالجته وإبعاده عن ساحته ، فمنْ لم يكُنْ إحساسه مرشده فليس له بُدٌّ من وقوع الحوادث إلا ما شاء الله، فهو سبحانه الواقي وهو الحامي وهو المنجي، فمنْ يحط منزله بسياج السلامة، فقد عمل لها عملها وأخذ بأسبابها متوكلًا على الله من قبل ومن بعد ، فالتوكل يقتضي الأخذ بالأسباب ولا يتنافى معه ، وهي بهذا المعنى تتحقق بأضلاعها:

- فلو ضربنا الوقاية × الحماية. فحاصل ضربها أمان.

- ولو جمعنا إجراءاتها + وسائلها. فحاصل جمعها كبح جماح الحوادث وقهرها عند نقطة بدايتها.

إذن: السلامة محصل مثلث أضلاعه{وقاية – حماية – تفعيل} تتكامل لتعطي ضمانة –بإذن الله– بسلامة عامة، وإنْ سلمت من الغفلة والإهمال، محصلها إحساسٌ وقائي بالأمان من غول المحدثات والفواجع المؤلمة.

وبهذا يمكن أنْ نضع السلامة في قالب اصطلاحي من قبيل أنّ لفظها القولي يدل على معناها الاصطلاحي، فإن قلت: سلامة. فأول ما ينصرف إليه المعنى الخلو من الآفات والمضار، حيث يتبادر إلى الذهن المعنى اللفظي الدال على وجود وسط آمن، فيكون المعنى اصطلاحًا:

مظلة تستقر تحتها دلالات وقائية وحمائية وتفعيلية؛ لتكوين محيط سالم، لا تنزل الأحداث ساحته، خالٍ من الآفات والمضار.

وهي بهذا تشتمل على معاني الطمأنينة والأمان وهي عماد الحياة، وركنٌ من أركان العيش وموجبات البقاء، والإنسان بفطرته ينزع إليها في أي موقع ابتداءً بمقر سُكناه؛ لتأمين أقصى درجات سلامته، فمنْ تبناها دخل تحت ظلالها وأحاطه أمانُ الله في منزله، ومنْ لم يتبنَّها حلّ محلها عكسها وظل الخطرُ قائمًا والحوادث واردة ولا مناصَ من احتمالات وقوعها.

إذن: السلامة في عالم الإنسان مراد أساسي للنأي عن المحدثات المفزعة التي تُعيق مسيرته؛ ليبلغ بها مقاصده، يسكن بها قلبه، ويهدأ باله، ويستقر حاله، ويطمئن على مساره، وإشباع دوافعه

التي يأتي الأمان على رأس قائمتها، فهي فألُ خيرٍ وجلبُ نفع، ودافع للانطلاق وساحة نجاة. فهي شعور بالأمان من الخوف، ومن الأهمية بمكان تحسُّس ما يثير الخوف ويُوقع الضرر في المنزل؛ للتوقي منه وتلافي وقوعه، فهي مجال لكل المجالات واعتبار قبل كل الاعتبارات.

ولئنْ كان هذا التصنيف من اختصاص الباحثين والمشتغلين بهموم الحوادث فإن القارىء قد تتداخل عنده معاني ترادفات الألفاظ بمعنى واحد، لنقل الوقاية والحماية نهايتها سلامة فهي مشتركة المدلول، فإنْ قلنا: وقاية أو حماية فكلاهما يُوحي بالمعنى الشائع الذي انطبع في الأذهان بمعنى السلامة.

ومن سياق الحديث عن الحوادث والتوقّي من وقوعها نصل إلى محصلة نهائية لمفهوم السلامة، فعندما نقول: فلان سلم من مرض، أو سلم من أذىً أحاق به، فقد عوفي ونأى عنه، فالاسم سلامة، وهي تعني البُرْء من الخطر الذي كان يهدده أو كاد يحيق به استطاع أنْ يُحيّده أو يُبعده عن دائرته فهو سالم بإذن الله.

فالأمر هنا بين متقابلين: خطر، واتقاء خطر. ومن شرح مفهوم السلامة نصل إلى تعريفها.

تعريف السلامة: هي سقف عام لأمان من وقوع الحوادث، والبرء من المضرات والآفات المتلفة والمحدثات المهلكة.

وتتنوع حقول السلامة بحسب مقاصدها ومشتملات وجوهها من حيث سلامة الضرورات الشرعية والمجالات الحياتية، فبالإضافة إلى سلامة النفس والمال هناك سلامةُ البيئة وأسباب العيش

ومتطلبات النشاطات ورعاية تصاريف الحياة ومتعلقاتها لتشمل الإنسان ومحيطه التي بها يضمن بعد الله سلامته من آفات الحوادث .

فالسلامة حاصل جمع أسلوب ووسيلة ويقظة وإدراك وإلمام ونبذ إهمال والتخلي عن تقاعس وغفلة أو تهاون ولامبالاة أو إرجاء اتخاذ معالجه، كي لا يعطي فرصة للحوادث، في حين بالإمكان منع وقوعها بقليل من التبصر وحس مدرك لماهيتها وقفل أبواب شرورها.

حقائق منطقية تعلل استحقاق السلامة :

أعطِني يقظة أعطك سلامة.

اصرف إهمالاً ينصرف لك ندمًا.

السلامة – الوقاية – الحماية. مترادفات تصنع فعال حياتك.